د . عبدالعزيز بن محمد أحمد بن حسين*

هل يولد الإرهاب أمناً؟!

لا شك أن أفعال العنف والتدمير التي تتسبب في إزهاق أرواح الأبرياء والآمنين، لهي أعمال لا يقرها شرع ولا دين، فمثل هذه الأعمال لا يقتصر ضررها على من يقع ضحية لها فحسب ، بل إن ذلك يؤدي (بدرجة ما) إلى الإخلال بحالة الأمن، وإلى ترويع المواطنين الذين تعوّدوا الحياة الآمنة في هذا البلد ، وذلك بفضل الله ثم بفضل قيادته الحكيمة، التي لم تدخر وسعاً في بذل كل ما يحقق لهذا البلد الحياة الآمنة الكريمة، والأمن يُعد من أهم الركائز التي لا تستقيم حياة الإنسان بدونها، والأمن يشير إلى حالة من الاستقرار الاجتماعي.. يشعر الإنسان خلالها بمأمن من اعتداء أخيه الإنسان سواء أكان هذا الاعتداء على دينه، أم نفسه أم ماله وعرضه، فالإنسان الآمن هو الذي تخلو حياته اليومية من أي توقعات بالاعتداء عليه، والأمن حلة نسبية تتحقق في المجتمعات الإنسانية بدرجات متفاوته، فقد تتحقق في مجتمع بدرجة كبيرة، وقد تتوفر في مجتمع آخر بدرجة متوسطة، وقد ينعدم وجود الأمن في مجتمعات أخرى.

وقد أكدت الشريعة الإسلامية الغراء على تحقيق أمن الفرد والجماعة، لذا حُرم الاعتداء على النفس والمال والعرض، ولم يبح الإسلام أياً من أساليب الاعتداء على الغير بغير وجه حق قط ، في حين جعل العقاب لمواجهة الأفعال المخالفة لمعاييرالتشريع وذلك بما يتناسب مع الجرم وبعد استيفاء كامل الأدلة والبراهين، كما أن تحديد الجرم والعقاب الملائم وتنفيذه لم يترك أمره للأفراد، بل قصر ذلك على من تولى أمر المسلمين، وهكذا الأمر بالنسبة للقرارات الكبرى مثل الجهاد في سبيل الله ومحاربة الأعداء، فإن علماء المسلمين يرون أن ذلك يرتبط بإذن ولي الأمر، إذ ن ولي الأمر في موقع يمكنه من تقييم الظروف من خلال معايير ومعطيات لا تتوفرلدى الفرد العادي، فالحكم على صلة بعلماء الأمة وأهل الرأي فيها، وهو أدرى بمدى جاهزية القوة العسكرية، أخذا بالتوجيه القرآني ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾ ... هذا إلى جانب مسؤولية الحاكم في الموازنة بين المنفعة والضرر الذي قد ينال الأمة. وهكذا فالقرار في مثل هذه الأمور لا يمكن أن يتخذ من خلال اجتهادات فردية ، أو من خلال مجموعة انسلخت عن جماعة المسلمين، لا يخرج عن كونه ترويعاً للآمنين وجريمة في حق البلد والمواطنين.

والأفعال التي تستهدف الأبرياء لا يقرها شرع ولا دين، وتصنف اليوم من قبل معظم مجتمعات العالم على أنها أفعال إجرامية، أي تلك الأفعال غير المشروعة التي تتسبب في تدمير منشآت أو قتل أبرياء أو ترويع آمنين بدون وجه حق، ويتفق الكثير من المحللين في مجال السلوك الإنساني على أن مصطلح «الإرهاب» هو في الأصل مفهوم غربي صرف ، إذ يطلق على استخدام العنف والتدميرمن قبل مجموعات أو تنظيمات أو من قبل حكومة، وذلك كوسيلة لتحقيق بعض الأهداف، أو لمجرد إحداث ضغوط سياسية معينة، والإرهاب بهذا الوصف يختلف تماماً عن سلوك مقاومة الشعوب للدفاع عن حقوقها (والذي هو حق مشروع لا يختلف فيه العقلاء). والسلوك الإرهابي برز في حقب مختلفة من تاريخ المجتمعات الغربية، ومازال يمارس من وقت لآخر داخل بعض هذه المجتمعات ، إلا أن المستغرب في الأمر هو أن الكثير من الدول الغربية بدأت تحجم عن إطلاق مسمى الإرهاب أو الإرهابيين على الجماعات ذات الأصول الغربية (المسيحية) بينما لا تتردد هذه الدول في إطلاق لفظ الإرهاب (أو مرادفاته) على أي جماعة أو تنظيم لا ينتمي إلى العالم الغربي المسيحي، وتحديداً وفي الآونة الأخيرة بدأ الغرب يعمد إلى إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام، وذلك من خلال مخطط كيدي ماكر، ورغم أن تاريخ الأمة الإسلامية شهد - على مرالعصور - أجواء متباينة من حالات الاستقرار والتذبذب السياسي

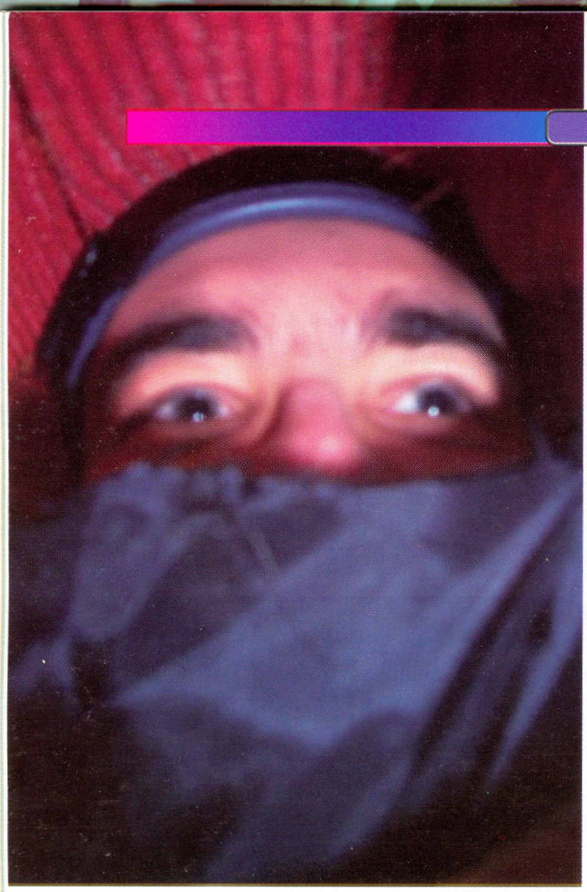

إلا أن تاريخها لم يسجل أفعالاً ينطبق عليها أوصاف السلوك الإرهابي كما هو معروف في الوقت الحاضر،مما يؤكد أن مثل هذه السلوكيات غريبة وشاذة عن المجتمع الإسلامي.

ولكن يبدو أنه منذ انهيارالقطبية السياسة بتفكك الاتحاد السوفيتي، وما ترتب على ذلك من تغيير جذري في موازين القوى الدولية، جند المعادون للإسلام قوى ونوازع الشر لديهم محاولين بذلك محاربة الإسلام، وذلك ظناً منهم بأن العالم الإسلامي بموارده الطبيعية.

وبحجم سكانه، وبتجاوزأقطاره قد يشكل قوة عظمى لا تضاهيها قوة وبالتالي يسهل على هذا الكيان «العملاق» ـ وفقاً لما يظنون ـ السيطرة والتحكم في مصير الشعوب الأخرى.

ولهذا السبب فقد برز الكثير من صور محاربة الإسلام وتقليص نفوذه، وليس هنا مجال حصرها، لكن من بين ما قام به الغرب لتحقيق مخططه العدائي هو التعرف على ضعاف النفوس والمغرربهم من أبناء المسلمين، واحتضانهم في بعض البلدان الغربية، وكأن الغرب متفق على ضرورة إيوائهم وتحريضهم على بلدانهم مع تقديم المساعدات اللامحدودة لهم ، وذلك طالما أن هؤلاء الأفراد قادرون على القيام (بشكل مباشر أو غير مباشر) بأفعال تتقاطع في النهاية مع مصالح هذه الدول المضيفة لهم.

ولذا بالفعل ظهر على مدى السنوات الماضية الكثير من الجماعات التي تدعي تصحيح الدين، أو إصلاح المجتمعات، والبعض منها بدأ يتطاول على العلماء، فيكفر هذا ويتهم ذلك، وآخرون يحرضون على الفتنة وينادون بثورة الشعوب، ولا أحد ـ في الحقيقة ـ ينكر ما أفرزته «جماعات المهجر» من أفكار ورؤى منحرفة، استطاعات بواسطتها جذب بعض الشبان من أبناء المسلمين ومن ثم توجيههم لتنفيذ أعمالاً تدميرية تخريبية هنا وهناك أدت في النهاية إلى الإضرارالواضح بالأمة الإسلامية.

والسلوك الإرهابي قد يظهر كنتيجة لعدة أسباب منها : تنفيذ سياسة دولة معادية، الشعور بالاضطهاد والظلم، الغلو في الدين، الصراعات الإقليمية، التعصب ضد الأقليات، وقد يظهر الإرهاب كنتيجة لسلوك مرضى لدى بعض الأفراد، كما أنه قد يبرزنتيجة لعدة عوامل مجتمعة.

أما من ناحية مكافحة ومعالجة سلوك الإرهاب : فينبغي أن يكون على محورين الأول يتمثل في محورالمكافحة، وهذا يتضمن تكثيف يقظة الجهات الأمنية المختصة بمراقبة الأنشطة المشبوهة، والتصدي لأعمال التخريب أو للأعمال التي تهدف إلى ترويع الآمنين أوالسعي لإحداث زعزعة لأمن البلاد، كما يتضمن ذلك بصورة تعاون المواطن مع جهات الأمن المختصة، إذ بتعاون المواطن مع جهات الاختصاص ستضيق الفرصة ـ حتماً ـ على كل من يفكر في النيل من أمن واستقرار هذه البلاد.

أما المحور الثاني فيتمثل في علاج ظاهرة الإرهاب، وموضع العلاج هنا يتطلب الوقوف على جذور المشكلة من خلال التشخيص السليم لها، وهذا الأمر لا يمكن أن يخضع للآراء الفردية، أو للانطباعات الذاتية، وإنما يجب أن يتم من خلال أصحاب الاختصاص والخبرة.

وما يمكن قوله باختصار في هذا الموضوع هو أن الكثير من علماء النفس يرجحون أثر التعلم في اكتساب السلوك الإرهابي، والإرهاب رغم وضوح الناتج السلوكي المرتبط به (مثل التدمير، والقتل، وترويع الآمنين) إلا أن هذا السلوك بحد ذاته لا يتكون في الغالب عن طريق عملية تعلم قصيرة وإنما لا بد أن يخضع لسلسلة معقدة من عمليات تعلم واكتساب السلوك، وبصورة أساسي من خلال التدعيم والنمذجة الفعلية والرمزية، إلى جانب ما يصاحب ذلك من دوافع ومحرضات معينة، وبالتالي إذا ما أردنا التعامل مع هذه الظاهرة من منظورنفسي فلا بد أن نعود ونتتبع منظومة التعلم التي ارتكز عليها السلوك الإرهابي. فالشخص الذي يمارس الإرهاب ضد الوطن تشرب أفكاراً مناوئة وتعرض إلى نماذج مخالفة لفكر وعقيدة مجتمعه. ومن هنا يتوجب تحصين أفراد المجتمع، خصوصاً الشباب منهم، من خطر التعرض إلى النماذج ذات الفكر المناوئ سواء داخل الوطن أو خارجه، ومن ناحية أخرى يتوجب النظر إلى العوامل الأخرى التي قد تقود إلى سلوك بعض صور الإرهاب بعوامل اجتماعية واقتصادية متنوعة، مثل البطالة، وتردي الحالة المعيشة لبعض شرائح المجتمع.

وفي بلادنا، نجد أن الدولة التي استتب الأمن في رحابها بفضل الله حقبة طويلة من الزمن دون حدوث مثل هذه الأفعال الشاذة والغريبة علي البلاد، قادرة ـ بعون الله تعالى ـ على الوقوف بحزم ضد كل من يحاول الإساءة إلى أمن البلاد، أدام الله لبلادنا أمنها وعزها وحفظ قادتها من كل مكروه.

* كلية التربية ـ جامعة الملك سعود ـ الرياض